## تخلى عن الحروفية بعد تجربة طويلة

# ضياء العزاوي: لا يمكن حصر الفنان في متحف من باطن الكتب

□ أصيلة – من أسعد عرابي:

■ لعل أبرز الاحداث الثقافية التي أغنت موسم اصيلة الخامس عشر لهذا العام المعرض الشخصي لضياء العزاوي، افتتح المعرض مساء السادس من آب (اغسطس) وغطت اللوحات جدران القاعتين الرحبتين، داخل اروقة مركز الحسن الثاني وبلغ عددها ٢٤ لوحة منجزة بالوان الاكريليك على القماش (بعضها من قياس كبير) وقطعتين من ملصقات الخشب المتصالب والملون بالاكريليك ايضا، أقرب الى النحت منها الى التصوير، خصوصاً ان اجنحتها تتحرك في فراغ ثلاثي الابعاد، مستندة الى قواعد نحتية... وسينقل المعرض الى صالة «فلاندريا» في طنجة في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) المقبل.

معظم لوحات المعرض حديث يعود الى العامين الاخيرين وبعضها الى ١٩٨٩، وهو من اشد معارض ضياء وحدة واشراقة داخلية، مختتماً رحلته التجريدية بالتخلي نهائياً عن عنصر الحرف ما هيا له فرصة زيادة امتدادات فضاءاته ورحابة مساحاتها، واختصار الاشكال الى الحد الاقصى.

يجيب ضياء على هذه الملاحظة بحماس واضح: «لقد قطعت اتصالي باستخدام اي شكل من اشكال الحروفية لسبب بسيط هو قناعتي التامة بان اللوحة لا تحتاج الى هوية تعريف مباشرة، والحروفية في نهاية المطاف نوع من الاتصال القسري بالخزان التراثي قد لا يخلو احياناً من السهولة والميكانيكية.

● ما البديل اذن؟

– هوية اللوحة، كما تعرف، تنبع من فيضها الداخلي الروحي، من بنائها النفسي، من عمارتها وخرائطها الموحية الطليقة من شتى الصيغ المسبقة، اللوحة ليست شكلاً، او حرفاً بقدر ما هي جملة بصرية انفعالية مجرضة تعتمد على الالماح. وعلى رغم تحفظي الدائم على الحروفية شكلاً ومضموناً فانا اتساءل عن تخليك عن لعناصر لم توقعك في النمطية الاستشراقية؟

– اكتشفت الحقيقة المرة والقاسية وهي ان معظم ما يرتبط اليوم بالحروفية يخرج من فردوس التصوير، بل ان موجة الحروفية سببت بمجانيتها الغالبة الخلط بين الخطاطين والتكشيليين، وهناك فرق كبير بين الرسامين وجهلة الرسم، بين اتباع الطرز الجاهزة والرسام المحترف الذي يتعاطى مع الحرف كاشارة او حجة تشكيلية بحتة.

● الا تجد ان هذه الموجة تنسجم مع الصورة الفولكلورية التي يرسمها الغرب لتخلفنا الابداعي؟

– بالضبط، واذا كان الافريقي اليوم خرج من قناعه السحري فالفنان العربي ايضاً لا يمكن اختصاره بحروفية متحفية مهاجرة من بواطن المخطوطات. تصور ان المتحف البريطاني يسعى منذ سنوات لشراء لوحات من فنانين عرب رافضاً كل عمل تصويري غير فولكلوري ولعل اسهل السبل للدخول في هذا المتحف هو الحروفية الكتابة الاستشراقية، الا تجد معي اننا اصبحنا متخفين وفقدت اللوحة القدرة على الحيوية؟ انت تعرف مثلي ان وجودنا في اوروبا حجب عن اعيننا الخوف من الضياع في امواج هذا البحر المتلاطم بالاتجاهات، فالخوف قدر الذين عزلتهم ظروفهم من الاتصال بالعالم الخارجي، بالنتيجة فالتصوير الحقيقي لا يحتاج الى مثل هذا الاختام المباشر، فهويته تكمن في قلبه، لا في عقله او في مخططه الايديولوجي.

كان حديث ضياء متناغماً مع مناخ معرضه الحالي، فلوحاته خالية من الحروف في فراغ فلكي تبث المتفرج انماط من الطرب والوجد. اما عشتار فارتدت اسطع حللها هذه المرة، وبعد ان سقطت من شفتيها الخضرواتين شتى الاقاصيص والحروف والكلمات، وحلت اسطورة اللون محل ميثولوجيا الاثار، تلألأ وجهها بالوان السيراميك، واجتمعت في ملامحها الوان الاسفنج مع حجم البراكين المحتقنة.

ضياء يغرف كما كان دوماً من صمتها الابدي ويجعل منه مسرح حوارات للون وغبطة للنور المعربد في فراغ تنزيهي ويكاد يقطع صلته بالتخطيط والغرافيزم ليشطح باللون حتى حدود الغناء.في لوحته «نخلة الوجد» نشهد فراغاً ليلياً هائلاً يقطعه شكل النخلة الطوطمي والبخاري في آن واحد، ويبدو في تجريداته الاخرى تحالف الاطار والوانه مع اللوحة ويتحول الاطار الى جزء مكمل واساسي في بناء اللون، الغلاف المستفيض بانوار الاصفر مثلاً لاحياء درجات البنفسجي في الداخل وهكذا، وهنا ندخل في جديد متطرف لمفهوم الهامش العريق في فضاءات العزاوي، فقد تحول الهامش الى اهداب رباعية ملونة قزحية تطوق الفراغ من شتى جهاته وتتحالف مع الاطار في تعيين المناخات اللونية للداخل، في تبادل بصري دائم.

هكذا حسم الصراع بين الخط واللون الذي شهدنا ديناميته في تجربة العزاوي دوماً لصالح اللون وانحسرت آخر معالم توليفاته الغرافيكية ليتحول الى التصوير الصافي، وبذلك يمسح تاريخاً غنياً من تعلقه بالمخطوطات والبورتفوليو وفن الحفر والطباعة متمسكا باهداب الفراغ المنزه، يتحول فيه مخطط السجاجيد الى افلاك يحلف فيها طائره المعهود العنقاء الاخضر المتلهب القزحي الذي لا يستقر على شكل محدد فهو اقرب الى الهيولي منه الى الكائنات الرمزية، واذا كان ضياء متمسكاً بمقص الفنان ماتيس في سطوحه المهندسة، فقد دخلت هذه المقصوصات في بنى ذرية جوهرية جديدة يتفانى فيها السطح وينبض بالنور وهذا ما يفسر تدميره الاشكال بالابيض ثم اعادة وضع العجائن. وبذلك يعرض علينا ثنائية جديدة تقع بين الشفاف والكتيم وما بينها، ناهيك عن حوار الداخل والخارج.

حقق ضياء رهانه في خوض مغامرة الارتحال من دون التفريط بخصوصيات ابداعه.

«عشتار» – (١٩٩٠). (الحياة)

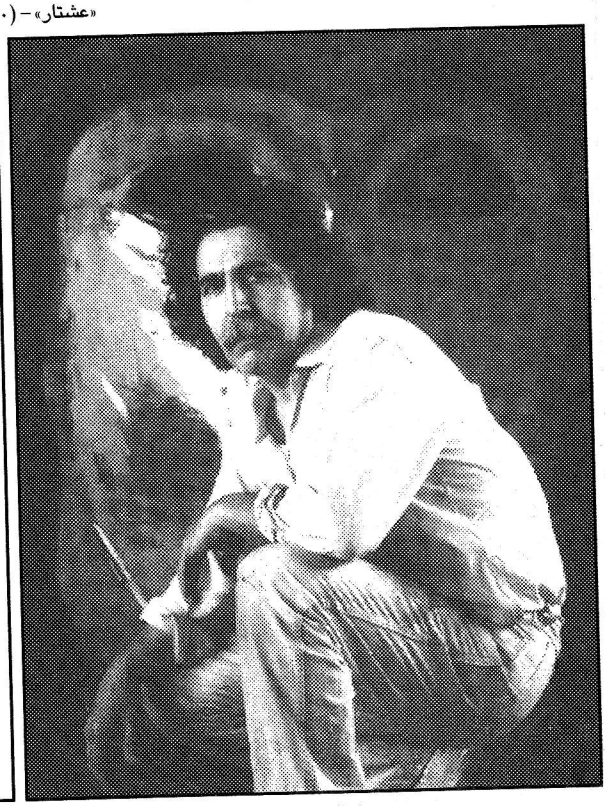

ضياء العزاوي. (الحياة)

«الهدف» – (١٩٨٩). (الحياة)